الدكتور فورونوف

أكثرت صحف العالم من ذكر الدكتور فورونوف وما يقوم به من التجارب الطبية المدهشة لتجديد شباب الشيوخ فرأينا افادة لحضرات قراء الاخاء أن نكتب عنه هذه الكلمة : ـ

ولد الدكتور سرجيوس اليكساندروفيتش فورونوف في مدينة فورونيج في روسيا في ١٠ يوليو (تموز) عام ١٨٦٦ ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره سافر الى باريس وعام ١٨٨٧ قدم امتحاناً في الطب بفوز باهر في فرع جامعة باريس الطبية حيث كان يسمع محاضرات الاساتذة الأطباء : هانو وفيرنيل وريكار وبيات وغيرهم وبعد أبحاث طبية دقيقة قام بها بنفسه رفع للجامعة تقريراً مسهبا عن مرض الراحة (Trenes Mordicles) نال استحسان الجامعة واساتذتها الذين أثنوا عليه ثناء جميلا

ثم أنشأ في باريس عيادة طبية ولم يمض على تأسيسها عهد طويل حتى نجحت نجاحاً عظيما واشتهر فورونوف بأنه في مقدمة جراحي عاصمة فرنسا

ثم أنه بناء على طلب عدد كبير من عظماء المصريين ذوي المراكز الرسمية سافر عام ١٨٨٤ الى مصر وأنشأ عيادة في القاهرة وأحرز بوقت قصير شخصية بارزة وشهرة واسعة وأصبح من عداد أطباء الخديوي الذي قربه اليه وانتفع بمهارته. وتمكن من أنشاء الجمعية الطبية الدولية وحاول عقد مؤتمر طبي دولي في القاهرة لدرس أمراض

وكان الاسير ضابطا حاول بعد هزيمة جيش الملك كارلوس في احدى المعارك الفرار الى فرنسا . فلما رآه القاضي أمر بحل وثاقه كما أمر بوضع مائدة أخرى للطعام وقال : —

اليوم عيد ميلادي ولا أريد أن أعكر صفاء العيد الذي احتفلنا به . قدموا الطعام للاسير والجنود الذين أحضروه لاني أريد أن أقوم أولا بواجبات الضيافة ثم أقيم بعد ذلك قسطاس العدالة .

فجلس الجنود على المائدة مع الاسير الذي قابل الحالة بالطاعة والخضوع وجعل يلتهم الطعام التهاما

ثم أقبل السير باتريك على اصدقائه وجعل يتمم لهم الحديث الذي قطعه الجنود بحضورهم فقال :

قلت لكم اني كنت في الخامسة عشرة من عمري شاباً ضعيفا ضئيلا فضلا عما كنت أتحمله من سوء معاملة زوجة أبي ومعاملة رفقائي في المدرسة الذين حملهم ضعفي على التعدي علي . ومعلوم ان الشجاعة تكون عند الغلام الذي يشعر بشدة قوته ولكن ضعفي جعلني جبانا فكنت دائما أبداً خائفا وأشد خوفي كان من خيزرانة معلمي التي ضربني بها مرتين ضربا مؤلما مازلت ارتعش كلما ذكرت ذلك ، وكنت اذ ذاك تلميذاً في احدى مدارس وستمنستر وكان فصلنا مفصولا عن الفصل المجاور بستارة لايجوز لاحدنا أن يمسها أو يرفعها. وحدث مرة في أيام الصيف اني استغرقت في النوم بينما كان المعلم يحدثنا عن ارسطاطاليس . واستيقظت مذعورا خائفا من ضجيج التلاميذ وكدت أن أقع عن المقعد فامسكت الستارة التي كنت جالسا الى جانبها فانقطع الحبل المعلقة به ووقعت على الارض وتمكنا بذلك من رؤية الفصل المجاور لنا . فنهض المعلمان والغضب آخذ منهما كل مأخذ وقد اكتشفنا المجرم بسهولة فدعاني المعلم لكي يضربني بالعصا اثني عشرة ضربة فوقفت وأنا عديم الشعور من شدة الخوف وحاولت أن أطلب الرحمة غير ان لساني تلعثم من شدة الخوف وارتجفت رجلاي وترطب جبيني بالعرق البارد فركعت على ركبتي وأنا لا أعي ماذا أفعل

وما كادت العصا ترفع في الهواء حتى صرخ صارخ يقول : لا تضربوه لاني أنا

الذي قطع حبل الستارة . قال هذا الغلام الذي كان جالساً الى جانبي من جهة الستارة الثانية . فدعاه المعلم وضربه اثني عشرة عصا ونجوت أنا من العقاب . وحاولت قبل هذا أن أقول الحقيقة وأتحمل العقاب ولكن في خاطري فلم يدنس بنت شفة

وبعد أن قام الولد من تحت الضرب دنا مني وهو يخفف يديه المحمرتين جداً وابتسم في وجهي وقال لي همساً كلمات لا أنساها ما دمت حياً وهي : « لا تتعلق مرة أخرى أيها الصغير بالستارة لأن العصا مؤلمة جداً . » فسقطت على الارض وجعلت أبكي بصوت عال فاضطر المعلم أن يرسلني الى المنزل . ولكني من ذلك اليوم جعلت أهتم بضعف قوتي واني أستطيع القول بأني تخلصت من ذلك الضعف اليوم

فسأله أحد الضيوف قائلا : أما قابلت بعد ذلك منقذك من الضرب ؟

فأجابه السير باتريك : أقول بملء الاسف اني لم أقابله مطلقاً لأنه كان من تلاميذ الفصل الآخر وترك المدرسة بسرعة بعد ذلك الحادث

ثم استطرد الكلام فقال وقد خنقته العبرات : ان الله يشهد انني حاولت مراراً أن أراه وأن أشرب كأس شهامته ومروءته

وفي هذه اللحظة مدت يد نحوه كأساً ورأى السير باتريك أن الاسير يريد أن يصدم كأسه بكأسه ويشرب نخبه

ثم قال الاسير : اني أشرب كأس ذكرى ستارة مدرسة وستمستر أيها السير باتريك ويظهر أن ذاكرتك خانتك فان المعلم اذ ذاك ضربني اربع وعشرين عصا وليس ١٢ عصا

فصرخ السير باتريك اذكر أذكر ذلك ولا أنساه . ولكن ألعلك أنت هو ؟

ثم تفرس به وقال : نعم : نعم ! أنت هو وهذه ملامح وجهك لم تتغير ولكن من أي حزب أنت ؟

فقال الاسير : اني من حزب وانصار جلالة الملك فأنا كشوتلاندي قد قت بواجبي . خضت ميدان القتال مع أبي ولكن ابي مات وأنا لا أريد آخرة أخرى وانما أسعى لغاية واحدة وهي نجاة الملك .

فسأله السير باتريك قائلا : أولا تحب أن تسعى بخلاص نفسك

فهز الاسير كتفيه وقال : اني أسعى بخلاص من هو أهم مني . وأنا لا أريد أن أقف في نصف الطريق بل أريد أن انهي العمل الذي أخذته على عاتقي وأنا وحدي المسؤول عن ذنبي

فقال السير باتريك : الا تفكر بان توجه التفاتك الى حاسة شكري لك وما ذا ترى اذا كنت أنا أسعى في انقاذك ؟

— اكون اذ ذاك محرضا لك على نقض واجب القسم الذي أقسمته وانا لا أريد أن أشتري حريتي بثمن ذمة رجل آخر . قال الاسير ذلك وعاد الى المائدة وجلس بين الجنود يتناول الطعام

فأطرق السير باتريك وتعمق في الافكار وأصدر أمره بمعاملة الاسير بالحسنى ثم غادر في تلك الليلة نيوكاستل ولم يقل لاحد الى اين هو مسافر . وعاد من سفره بعد ثلاثة أيام ودعا اليه الاسير فوراً فلما مثل هذا بين يديه سأله عن موعد الحاكمة

فالتفت اليه السير باتريك وقال أيها اللورد دربي : من عشرين سنة خلت رأيت يديك والدم يكاد ينزل منهما وسمعت ما قلته لي همساً لا تتعلق بالستارة فان العصا مؤلمة ، والآن قد أحضرت لك أمراً يقضي بالعفو عنك وأنا الآن بدوري أقول لك : « لا تحمل السلاح بعد في وجه البرلمان لأنه من الصعب التغلب على كرومفيل . »

وبعد هذا عانق السير باتريك اللورد دربي وبقي الاثنان صديقين بقطع النظر عن اختلافهما في المباديء السياسية . فهكذا تكون المروءة . وهكذا يكون الوفاء .

قال الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي ... فقلت علامَ تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا ابكي وأهلي ... جميعاً دون خلق الله ماتوا

وقال السموءل

وفيت بأدرع الكنديّ اني ... اذا ما خان أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوماً بأن لا ... تهدم يا سموءل ما بنيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماء كلما شئت استقيت